وبعثت دفين نوازع الحزبية، فرجعت النعرة الأولى التي كانت قبيل الإسلام جذعة، فتغني بها الشعراء ـ وهم السنة قبائلهم الذادون عن حياضهم ـ وطفقوا يرددون مواقف أسلافهم المشهورة منسوبة إلى أصولهم الممجدة ـ كل يرفع راية القبيلة التي ينحاز إليها، ويحثو في وجه مناهضة التراب، وقد أثر الهجاء بالتفضيل في النفوس أيما تأثير، فكم من قبيلة رفع الشعر أو وضع.

اعتزاز الشعراء بأصلهم الخندفي أو القيسي:

كثر الشعراء المجيدون في دولة بني أمية، وبلغ الشعر ذروة الجزالة والفصاحة، غير أن الشعراء اختلفت ميولهم القبلية تبعاً لاختلاف بيئاتهم العربية، والتطاحن فيما بينها للسبق في حظوظ الحياة، وقد زاد اختلاف الشعراء التدابر بين القبائل، وأجج نار الأحقاد والأضغان، كثيراً من الأحيان. فقد يثير الشاعر الخندفي المسالم من خندف كما يوقظ الشاعر القيسى المتسامح من قيس، كما ينبه المنتسب إلى عشيرة عشيرته لمناهضتها عشيرة أخرى قد تكون خندفية أو قيسية مثلها وهكذا.

فجرير " مثلا " التميمي الخندفي، إذا احتربت بنو قيس وبنو خندف، فإنه يسلط لسانه على قيس ويشيد ببطولة خندف، وإن عرف عنه الاحتفاظ بكرامة الأب (قيس) لأن جريراً له خئولة في قيس، لذا كان يعمد حينئذ إلى ذكر القبيلة وحدها دون تعميم في القيسيين، وإذا تلاحى المضريون والربعيون فإنه يسلق الربعيين بلسان حديد، ويحسب المجد واقفاً عند بني قيس وخندف، وإذا اختصم بنو خندف فإنه يدع النسب العالي ويتحيز لمن يهوى.

وهكذا شأنه: يلبس لكل حالة لبوسها.

وكذا الفرزدق التميمي الخندفي يجري في هذا المضمار لاقتضاء الظروف التلون باللون الذي يقتضيه الحال، بيد أنه عنيفاً في حملاته على قيس، فصب جام غضبه على رءوسهم في الوقعات التي نشبت بينهم وبين الخندفيين، لأمرين: الأول: لمناصبته العداء لجرير الذي كان يعدد مآثرهم في مواقفهم، والتهارش بين